
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

النخبة المغربية ومسألة تعليم المرأة في عهد الحماية

ذ.محمد معروف الدفالي *

تمهيد

كان التعليم في المجتمع التقليدي المغربي ، قبل عهد الحماية ، وفي بداياته الأولى ، حكرا على الذكور ، دون الإناث ، وكل ما كان يسمح به للبنات في الأغلب الأعم ــ هو تلقي مهارات يدوية (صنعة)، في "دار لمعلمة" ، مثل نسج الزرابي والأغطية ، والجلاليب ، الذي كان منتشرا في البوادي والمدن على السواء . والخياطة والطرز التي كانت موجودة بالمدن أساسا . وكانت بعض دورتعليم هذه المهنة الأخيرة تحرص على تعليم الفتيات عن طريق الحفظ سمعا بعض سور القرآن القصيرة وخاصة سورة الفاتحة (1). وإلى جانب هذا النوع من التعليم المهني أو الصناعي سمحت بعض العائلات ، في المدن الكبرى ، أساسا ــ لبناتها بارتياد الكتاب(2) الخاص بالإناث ،المعروف بنعت "دار الفقيهة"، لتلقي مبادئ القرآءة والكتابة ، وحفظ بعض السور القصار من القرآن ، وبعض مبادئ الدين وتعاليمه والادعية الصالحة(3). فقد كانت بعض المتفقهات وهن في الغالب بنات أو زوجات بعض الفقهاء الذين يعلمون الأطفال في الكتاتيب ، تخصصن حجرة أو حجرتين من بيوتهن لتعليم الفتيات ، صيانة لهن عن الخروج إلى أمكنة عامة ، مثل كتاتيب الأطفال(4). وفي سن التاسعة أو العاشرة كانت الفتيات تنقطعن عن الدراسة للقعود في البيت والتعاطي لشؤونه ، مع استثناءات في أوساط بعض العائلات الموسرة ، التي قدر لبناتها حظ متابعة الدراسة بالمنزل على يد بعض أفراد الأسرة ، أو على يد مدرسين خصوصيين ...وهكذا كانت النساء المتعلمات تشكلن حالات استثنائية داخل المجتمع ، كما كن محط تقدير كبير(5).

* أستاذ باحث بكلية الآداب ــ الدار البيضاء ــ عين الشق

وبعد فرض نظام الحماية على المغرب ، عرفت هذه الوضعية تحولا تدريجيا ساهم فيه التأثر بالأوربيين ، ومجهودات الحماية ، وانتشار الفكر الإصلاحي الشرقي حول المسألة النسائية ، في أوساط النخبة المتعلمة ، ورواد الحركة الاجتماعية الإصلاحية ...

تعليم المرأة بين التأييد والتحفظ

حرصت سلطات الحماية منذ بدايات عملها بالمغرب ، على محاولة نشر تعليم البنات المغربيات المسلمات . وذلك إما التزاما بسياسة الإصلاح ، التي تضمنتها معاهدة 1912 ، أو في سياق السياسة الأهلية ، ومحاولة استقطاب المرأة المغربية حتى لا تبقى عدوة لعمل فرنسا بالمغرب ، وربما تتحول بعد التعليم إلى أداة دعاية وتسرب للنفوذ الفرنسي داخل البيوت(6). وكان المغاربة في هذه الفترة مازالوا أزهد الناس في الأمر ، ومن مظاهر ذلك الزهد ، أن "إدارة المعارف" فتحت سنة 1915 ، مدرسة لتعليم البنات بفاس ، لم يقصدها أحد ، فاضطرت الإدارة إلى غلقها(7)، ونفس المصير لا قته إحدى المدارس الأولى التي فتحت لنفس الغاية بمدينة سلا ، وهي "مدرسة باب احساين" (8). وفي سنة 1923، أعادت سلطات الحماية محاولة إنشاء مدرسة للبنات بمدينة فاس ، وحتى لا تثير شكوكا ، ومن أجل إنجاح المحاولة ، تركت أمر البث في البرنامج إلى العائلات ، وتقرر وضع المشروع تحت إشراف المجلس البلدي للمدينة . إلا أن الأمر لم يخل من إثارة نقاش حاد بين مؤيدين ومتحفظين ، استند فيه المعارضون إلى طروحات من ضمنها ، أن النساء عسيرات الانقياد بصفتهن جاهلات ، فكيف بهن إذا صرن مثقفات ، وأن الرجال قوامون على النساء ، فلا يجوز عكس الأمر ، وأن الساعة لم تحن بعد لتعليم البنات ، وأن النساء بفاس غير النساء خارجها (9)...وما شابه ذلك من تعبير عن الرفض المطلق .

لقد أولت يعض الكتابات ، مثل هذا الموقف ، الذي كان أنصاره أغلبية في المجتمع بأنه كان نوعا من التحفظ ، منشأه الحرص الشديد على كرامة الفتاة والخوف من أن يؤذي بها التعليم ، والخروج إلى المدرسة ، إلى الانحراف والتعرض إلى ما من شأنه أن يخل بكرامتها وأخلاقها (10)، كما أولته كتابات أخرى بأنه كان خوفا على البنات من أن يقذف بهن إلى أيدي المعلمات الأجنبيات ليتولين تعليمهن وتربيتهن(11) ، مع ما ينجم عن ذلك من سلبيات تمس البيت المغربي بل لقد ذهب هذا التأويل الأخير إلى تحميل مسؤولية عرقلة تعليم البنات إلى تدخل السياسة الفرنسية في الأمر ، بشكل أثار مخاوف ، ما كانت لتثار لو تولى المغاربة بأنفسهم الإشراف على الفكرة وتنفيذها(12).

ومهما كان الأمر ، فمسألة تعليم المرأة ، في بداية الصدع بـــها بــالمغرب اصطدمت بعدد من الخصوم والمناوئين ، انبنت مواقفهم على التقاليد ، وواقع الحـال الموروث وعلى تأويلات خاصة للكتاب والسنة ، خلصت إلــى ادعــاء معارضــة الدين الإسلامي لمثل هذا التعليم المراد. وفي مقابل هــؤلاء المعــارضين ، انتظـم أنصار ومنافحون ، كان أغلبهم من رواد ورموز الحركة الوطنيـــة ، فقــد كــانت الحركة الوطنية حركة سياسية ، وحركة اجتماعية ، بــل إنــها كــانت اجتماعيــة إصلاحية ، قبل أن تكون سياسية . ومن هنا وجب توسيع الحديث عن روادها قبـل أن يقلصهم العمل والاختلاف السياسي .

لقد أثارت مسألة تعليم المرأة في المشرق العربي ــ خصوصا في واحتـــي نهضته ، مصر والشام ــ قبل المغرب ، نقاشات ميزت بين المجددين نتاج حركـــة الأفكار الغربية ، وحركة التجديد الإسلامي ، وبين المحــافظين ، الذيــن رأوا فــي المسألة نوعا من الهرطقة .ولم يكن المغرب بمنــأى عــن النقاشــات التــي دارت بالشرق حول الموضوع . فقد اطلعت عناصر من النخبة المغربيـــة علــى حركــة النهضة النسوية بالشرق ، من خلال المجلات ، ومن خلال ما نشــره المتحمســون والمهتمون بتعليم الفتاة ، وتطوير موقعها داخل الأسرة والمجتمع . فكتابــات قاســم أمين ، على سبيل المثال ــ كانت كثيرة التداول بيــن المتعلميــن ، وكــان اســمه مشهورا في أوساطهم ، كما كان كتاباه : "تحرير المرأة" و "المرأة الجديـــدة" ، مــن أشهر الكتب المتداولة . إذ ينص عدد من رواد الحركة الوطنية في مذكراتــهم ، أن هذين الكتابين ، كانا من ضمن مقروءاتهم ، أواسط العشرينات . ومثل ذلك كـــانت كتابات "ملك حفني ناصف" (باحثة البادية) ، وكتابات وأنشــطة "هــدى شــعراوي" متداولة ومعروفة ، وأشعار كبار الشعراء، من دعاة التجديد في المســألة النســائية محفوظة ومرددة(13).

ومن خلال الرغبة في التجديد ، وضرورة مسايرة العصر ، ومــن خــلال الآثار الفكرية التي ولدتها الكتابات المشار إليها نــثرا وشــعرا ، تبلــورت حركــة مناصرة تعليم البنات ، والدعوة إليها . وتذكر بعض الشهادات ، أن المعركــة بيــن أنصار وخصوم تعليم المرأة بالمغرب كانت خفيفة ، وسهلة ، مقارنة مع نظيرتـــها كما عرفها الشرق ، وذلك لأسباب منها : ضعف التيار المناهض ، وعدم تنظيمـــه وآثار عامل الزمن الذي عمل في اتجاه التفتح والتطور ، واقتناع العلماء والوجـــهاء والشباب المثقف ، بحتمية تطوير الفتاة بالتعليم والتربية ، من أجل حياة العصر(14) على رأس المنادين ، والمتحمسين الأول لتعليم المرأة ، "محمد بن الحسن الحجـوي" وهو عالم سلفي ، وتاجر ، وأحد رجالات المخزن . فقد كان لـــهذا الرجـل سـبق ومكانة في إطار هذه المسألة ، حيث نقرأ في أحد أعداد مجلة المغرب "أن للأســتاذ الحجوي أعمالا جلى في ميدان الإصلاح سيذكرها له التاريخ ، بكل امتنان ، وهــو في مقدمة المفكرين الذين دعوا منذ نشر الحمايــة إلــى الاهتمــام بتعليــم النســاء

وتحريرهن من بعض العوائد الضارة بهن وبالمجتمع . وقد سعى في ذلك سعيا محمودا فألقى المحاضرات ، وكتب المقالات ، وانتهز كل فرصة سانحة لبث أفكاره ولم يثبط عزمه في ذلك ما لاقى أحيانا من معارضة ونقد ...." (15). لقد آمن هذا الرجل بضرورة تعليم المرأة وتهذيبها ، من أجل إعداد الرجال الصالحين ، تأثرا بروح العصر ، واعترافا بالدور الذي لعبته جدته في تربيته(16) ، فكان أول من كتب وحاضر حول الموضوع ، وعبر عن رأيه الشخصي ، الذي أدخله معركة فكرية ضد عدد من رجال المخزن ــ وعلى رأسهم الصدر الأعظم محمد المقري ــ وضد عدد من الفقهاء المختلفين معه في الرأي . جهر الحجوي برأيه في الموضوع سنة 1341 هـ (1923م) في مسامرة بمعهد الدروس العليا بالرباط(17) بحضور عدد من رجال المخزن ، وقضاة وعلماء وأعيان الرباط وسلا ، وعدد من مسؤولي إدارة الحماية ، وبعض المستعربين الفرنسين ، في محاضرة حول "تعليم الفتاة ومشاركتها في الحياة " ، رأى فيها وجوب تعليم الفتاة "تعليما عربيا إسلاميا على نحو تعليم السلف الصالح نساءهم ، من غير أن يؤدي ذلك إلى السفور ورفع الحجاب"(18) . ويبدو أن مضمون المحاضرة لم يكن مستساغا من طرف عدد من الحاضرين . وهو موقف ترجمه الصدر الأعظم محمد المقري ، الذي قاطع المحاضر أثناء المحاضرة بقوله : " إن الدين الاسلامي لا يساعد على تعليم البنت تعليما يجعلها تشارك الرجل وتزاحمه في الحياة"، وسانده في الرأي الشيخ أبا شعيب الدكالي لما طلب رأيه بقوله " إن تعليما للفتاة يبلغ بها هذا الحد لا تقره مبادئ الاسلام"(19). أثارت محاضرة الحجوي ، زوبعة من النقاش في مختلف الأوساط و "سارت بها الركبان على حد تقويمه لها نفسه فيما بعد ــ ، ولقيت استحسانا في تونس والعالم الاسلامي شرقا وغربا"(20).

لقد أسقط موقف الصدر الأعظم ، ومناصرة الشيخ الدكالي ، في يد الحجدوي ، أثناء المحاضرة ، وجعله يتوقف عن الكلام ، دون إتمام محاضرته .إلا أن ذلك لم يكن ليثنه عن الكتابة وإلقاء المحاضرات توضيحا لرأيه ، ودفاعا عنه . وتفسيره بزيادة البيان والتفصيل .وفي هذا السياق حرص على تفنيد رأي مخالفيه وتوضيح أهمية تعليم الفتاة كضرورة من حيث الدين والاجتماع ...والبحث في الأمر عن الحكم الشرعي وأدلته ، والحكم الاجتماعي وحكمته .

وضح الحجوي ، على المستوى الشرعي ــ كيف أن الكتاب والسنة خاليان من أي دليل يمنع المرأة من العلم ، أي علم كان ، وساق مجموعة من الأدلة من هذين المصدرين تعزيزا لرأيه ، فصنف مجموعة من الآيات القرآنية مدرسة للبنات بمعنى " تعليمهن وتهذيبهن ، وإثبات حقوقهن في الحياة ، رغما على أنف من كابر " وبين كيف أن الرسول (ص) ، كان معلما ومدرسا لنساء بيته وحاضا لهن على التعليم ، معززا كلامه بمجموعة من الأحاديث الصحيحة ، التي تجعل تعليم الفتاة ضرورة في الفقه والدين . ولتعزيز رأيه بالملموس قدم أمثلة من المتفقهات

العارفات في مختلف العلوم والآداب ، من زوجات النبي (ص) ، والصحابيات والتابعيات ، وغيرهن في مختلف عصور الاسلام . وبين أن تأخر المراة المسلمة في العصور المتأخرة ، جاء نتيجة تأخر العالم الاسلامي ، وإهمال المسلمين تعليم النساء " كأنه منكر من الأمور وفجور ..." . أو كسلا منهم وجهلا .وعلى المستوى الاجتماعي بين الحجوي ، " أن العلم آكد حاجة للإنسان في حياته بعد القوت " وكيف أنه غاية بالنسبة للذكور والإناث معا . ومن خلال دور الواسطة المناط بالفتاة في المجتمع ، أكد على ضرورة تعليمها ، من أجل صلاح المجتمع . فالفتاة هي نواة العائلة " و " نواة الأمة " و "الأولاد غصن من دوحتها" و "الأم هي أول مدرسة يلقن عنها الولد كل تربية وتهذيب .."، ومن كل ذلك وما شابهه أكد الحجوي على أن "صلاح العائلة بصلاح الأم ، وفسادها بفسادها ، وصلاح العائلة به صلاح الأمة" ، وعلى أن " لا سبيل للأمة أن تحل المحل اللائق من الرقي إلا بتعليم البنت وتهذيبها " ، وربط حالة الأمة رقيا وانحطاطا بحالة رقي البنت الفكري والأخلاقي تعميما ونقصانا "(21). كان مقصد الحجوي في هذا النوع من "المرافعة" هو الانتصار لرأيه ، وتسفيه رأي مخالفيه ، ودحض خلطهم بين العادات والتقاليد وبين الدين ، وعدم اطلاعهم بما فيه الكفاية على تاريخ النساء في الاسلام ، وكذا تسفيه موقفهم من تحولات العصر ، وما يحتاجه المجتمع من أجل إصلاح حاله والنهضة به . فما هو التصور الذي صاغه هذا الرجل لما ينبغي أن يكون عليه تعليم الفتيات المغربيات المسلمات ، والحدود التي ينبغي له أن ينتهي عندها ؟ .

انتقد الحجوي تعليم البنات كما كان سائدا ، فاعتبره قليل الجدوى ، وطالب بترقيته وتحسينه ، والارتفاع به من تعليم أولي صناعي ، إلى تعليم ابتدائي تهذيبي ، وقد ميز في تصوره بين نوعين من التعليم للفتاة : تعليم عربي ديني ، وتعليم في غير علوم الدين . فذهب بخصوص التعليم الأول ، مذهب الأصوليين القائل بجواز تعلم المرأة إلى " أن تصل رتبة الاجتهاد في علوم القرآن والسنة ، وما يوصل إليهما من العلوم الاسلامية حتى تكون كمالك والشافعي وأضرابهما ، كما كانت عائشة الصديقية ...وكما كان بقية أزواج النبي ...وكثير من الصحابيات والتابعيات ..." .

أما الثاني الذي نعته بالأدبي الدنيوي ، فاقتصر فيه على حد التعليم الابتدائي وضرورة مغادرة الفتاة لهذا التعليم في سن التاسعة أو العاشرة من العمر ، مع إمكانية إتمامها لتعليمها بالبيت إذا توفرت الشروط . واقترح لهذا التعليم الابتدائي تعلم القراءة والكتابة والرسم وتعلم ضرورية الدين ومبادئ النحو زالآداب العربية وتعلم الحساب وقواعده الأربع ، والجغرافية والتاريخ ومبادئ العلوم مثل الهندسة العملية ، والأخلاق الاسلامية ، وتدبير المنزل ، وتدبير الصحة والرياضة البدنية وفن التربية إضافة إلى صنعة أو اكثر كالخياطة والطرز والفنون الجميلة والطهي ...هذا هو نوع التعليم الذي طالب به الحجوي للفتاة ، وحظ عليه ، ورأى أن الفتاة إذا التحقت بالمدرسة وهي بنت خمس سنين من عمرها ، لا تصل سن التاسعة أو

العاشرة إلا وهي محصلة لذلك . ولخلق هذا النوع من التعليم اقترح الحجوي الابتداء بإنشاء مدرسة للمعلمات ، وتقديمها قبل كل شيء باعتبارها الأساس الذي ينبني عليه صرح تعليم الفتيات . وبخصوص إتمام تعليم الفتاة ما بعد المرحلة الابتدائية خارج البيت كان الحجوي لا يرى ضرورة لذلك ، ولا ضرورة دخول مدرسة ثانوية للحصول على دبلوم أو باكالوريا أو ما شابه ذلك . كما أنه لم يكن يرى ضرورة أن تمتهن الفتاة وظيفة قاضي أو عدل أو طبيب أو مهندس وغيرها من الوظائف التي اعتبرها خاصة بالرجال.

إن موقف الحجوي المعارض لمتابعة المرأة تعليما ثانويا وعاليا ، كان نابعا من إيمانه بأن وظيفة المرأة الأساسية هي البيت ، " فهي لها كالرجل في عمله كل له حقه من العمل ومن النتيجة ، لا وكس ولا شطط" ، كما كان نابعا من الخوف من استدراجها إلى السفور ، والخوف من وقوع المجتمع في مشكل العاطلات وضمهن إلى العاطلين ، والخوف من أن تمكنها شهاداتها من سلاح خطير تقلب به المجتمع راسا على عقب ، وتجعلها تطمع في التسوية بالرجل في جميع ميادين الحياة(22). هكذا فوظيفة البيت التي رأى فيها الحجوي المكان الطبيعي للمرأة تنسجم مع تعليم وتهذيب ابتدائي يجعلها تؤدي ــ حسب رأيه ــ وظيفتها وتكون خيرا على أمتها.

لا يمكن فصل تنظير الحجوي لمسألة تعليم المراة ، عن مجمل آرائه في التعليم بشكل عام ، وإيمانه بضرورة إصلاحه لإصلاح حال الأمة ، ووضع أسس متينة للنهضة وولوج العصر . ومن هنا جاء خطابه حول المسألة خطاب دفاع عن حق المرأة في التعليم بالعودة إلى مصادر الشريعة الإسلامية ، وخطاب دحض وإبطال لحجج القائلين بعكس ذلك . وكذا خطاب إقناع توخى الحجة من الدين ومن تاريخ الاسلام وخطاب دعوة للعصرنة من خلال نماذج الأمم التي اهتمت بتعليم الفتاة . وعلى العموم كان خطاب الحجوي حول تعليم الفتيات متقدما ــ في وقته ــ بالنسبة لمغاربة المرحلة ، لكنه كان محافظا مقارنة مع رأي رموز المسألة النسائية مثل قاسم أمين في مصر ، والطاهر الحدادي في تونس ، وهو أمر يحتاج توضيحه إلى تحليل أعمق . لأن مضمون هذا الراي هو الذي استمر سائدا لدى الأوساط المتنورة داخل النخبة المغربية عموما ، وعناصر الحركة الوطنية ، إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، إذ لم يظهر أي اجتهاد أو تنظير يتجاوزه ، بقدر ما تم الاقتصار على ترويجه ، وتوسيع قاعدة أنصاره .

.بداية اتساع قاعدة المناصرين

أصبحت مسألة تعليم المرأة في الثلاثينات أكثر طرحا ، في أوساط النخبة المغربية وبدا تضارب الأفكار حولها أكثر اتساعا ، فكبار الأعيان ، وكبار المتنفذين وشريحة كبيرة من المجتمع ، استمرت في الاعتقاد بأن تعليم البنات شيء

إن لم يضر فليس بالنافع على أقل تقدير(23). فقد ضبط والد ولده الذي كان من العناصر الوطنية ، يلقن أخته مبادئ الكتابة والقراءة ، فاحتج عليه بقوله : " إنك ...تقود ابنتي إلى الانحراف ، وتيسر لها بتعليمها سبيل الاتصال بالمفسدين وتقاليدنا تفرض علينا أن تبقى بناتنا في بيت الأبوة لا يخرجن منه إلا إلى بيوت أزواجهن أو إلى قبورهن"(24). وللرد على هذا النوع من القناعات التي كانت سائدة بشكل كبير تجندت النخبة المناصرة لطرح ضرورة تعليم المرأة ، لإقناع غيرها والدفاع عن آرائها ، دون تجاوز "لحدود اللياقة " ، اتقاء رد فعل قد لا يخدم القضية أو ربما في حدود قناعاتها المرحلية هي نفسها . وتدل مجموعة من القرائن على أن تعليما ابتدائيا محدودا ، هو أقصى ما كان مرغوبا فيه للفتاة ، وأقصى ما حاولت النخبة وكذلك سلطات الحماية تمريره ، وجعل الناس يستأنسون به ويقبلونه ، عن طريق الدفاع ضد ما يمكن أن يلصق به من تهم . وعن طريق تبريره من خلال ما يمكن أن يحمله من نتائج ايجابية في المستقبل . فقد كتبت جريدة السعادة ، في إحدى المناسبات ، ونقلت عليها مجلة المغرب أن القصد من تعليم الفتاة هو " ...المحافظة التامة على الحشمة والعوائد المرعية ، وتلقين الفتاة المسلمة مبادئ العربية تلقينا مفيدا تحصل منه الفتاة على مسكة كافية للقيام بفرائضها الدينية ، وما يتطلبه منه أبناؤها ومنزلها في المستقبل " (25). واضطرت سلطات الحماية إلى مسايرة مثل هذا الرأي، فقد نصحت زوجة المقيم العام بونصو في حفل تدشين إحدى مدارس البنات ، معلمات تلك المدرسة بأن لا يوجهن " تلميذاتهن إلى التعليم العالي ، الذي يستطيع أن يصيرهن " نساء عوالم ، فليس من الضروري لربة بيت جديرة بهذا الاسم ، أو لزوج صالحة أن تناظر في العلوم النظرية ، أو فيما كان لسقراط وكانت وبرجسون ، من يد بيضاء على الفلسفة . بيد أنه من الشروط الأساسية في أيامنا هذه أن تكون زوج رجل مثقف محصلة على معلومات ابتدائية تجعلها أقدرعلى فهم زوجها وأخذ نصيبها من مسؤوليات ما يستلزمه تدبير منزلها وهذه من ضروريات الحياة العصرية "(26). ولنشر فكرة الاقتناع بهذا النوع من التعليم طلبت سلطات الحماية ــ مرارا ــ من الأعيان الراغبين في تعليم بناتهم مد يد المساعدة عن طريق إقناع غير الراضين عن العملية الحديثة في تربية البنات(27).

إن الجديد الذي حملته سنوات الثلاثين ، حول تعليم المرأة ، لم يكن نوعيا بقدر ما كان كميا ، جسده بداية تعميم النقاش والتداول بين من يهم الأمر على صفحات بعض المنابر مثل "مجلة المغرب" التي كان يشرف عليها الجزائري "محمد صالح ميسة" . ففي العدد الثاني لها ، أصدرت هذه المجلة بيانا حول " مسألة إصلاح حال المرأة وتعليم البنات " ، ولفتت الأنظار إليها في أعداد ومناسبات مصنفة إياها " مسألة خطيرة " ، كما نشرت مقالات في موضوع تعليم البنات وفتحت صفحات للجدل والنقاش في الموضوع ، " تثبيتا لفكرة الاصلاح في الأذهان

وتعميمها" (28). كما جسده تعميق بعض الكتابات ، لمضمون تعليم المرأة وأهميته الدينية والدنيوية في نفس الآن ، وكذا بعض الحفريات في تاريخ النساء المغربيات والأندلسيات مثل ما كتبه باشا سلا محمد الصبيحي بعنوان "بعض شهيرات النساء " الذي ترجم فيه لعدة نسوة كان لهن باع في العلوم والآداب والقرآن ، من مغربيات وأندلسيات.."(29). ونظم قصائد شعرية ، تدم جهل المرأة والمتسببين فيه وتدعو إلى تعليمها . إضافة إلى بعض الانتقادات التي كانت تصدر في حق سلطات الحماية في هذا الباب ، ومطالبتهم بالاهتمام أكثر بتعليم البنات وتعميم مدارسه وتهيئ بنية تحتية صلبة تساعد على تطويره وتنويعه . ولتعميق الفكرة وشرحها بوضوح ، جعل رواد الحركة الوطنية ، من كتابات قاسم أمين مصدرا للشرح والتوجيه ، فقد كان " عبد العزيز بوطالب ..يتحدث عن تحرير المرأة في اجتماعات الخلايا السرية ، التي كان يعقدها في بداية الثلاثينات بعد ظهر كل يوم جمعة ...وكان يقرأ على أعضاء تلك الخلايا كتاب " تحرير المرأة " لقاسم أمين ويعلق عليه ، ويدعو إلى تمتيع المرأة المغربية بالحقوق التي دعا إليها الزعيم المصري في كتابه"(30). ولما اشتد عود الحركة الوطنية ، كان تعليم البنات مطلبا رئيسيا من مطالبها ، كما نص على ذلك البرنامج الذي قدمته كتلة العمل الوطني سنة 1934 باسم " مطالب الشعب المغربي " . فقد قدمت الكتلة في باب تعليم البنات بهذا البرنامج مطالب ، إذا لم تتجاوز سقف المتداول منذ جهر الحجوي برأيه فإنها أكدت على الالتفاف حوله وضرورته . ومجمل تلك المطالب :

ـ جعل تعليم البنت مبنيا على أساس الثقافة العربية الاسلامية .

ـ تأسيس مدارس ابتدائية للبنات يعلم فيها القرآن ، والعربية والدين ومبادئ الحساب والصحة ، وتدبير المنزل، وشغل الإبرة ، ووسائل رعاية الأطفال

ـ جلب بعض المعلمات من مسلمات الشرق ، للتعليم في مدارس البنات ريثما يتم إعداد معلمات مغربيات .

ـ إنشاء مدرسة خاصة لإعداد معلمات البنات .

ـ تمكين الآباء من رعاية هذه المدارس .

ـ إنشاء مدارس للقوابل والممرضات (31).

ومن خلال هذه المطالب ، قامت عناصر الحركة الوطنية ، سواء لما كانت في إطار كتلة العمل الوطني ، أو لما توزعت ابتداء من سنة 1937 بين "الحزب الوطني" و " الحركة القومية" ، بدعوة واسعة لتعليم وتهذيب البنات .

وإذا كان من جديد يفرض ضرورة الإشارة إليه ، في المرحلة المقصودة أي مرحلة الثلاثينات ، فهو بداية اهتمام المرأة بالموضوع ، بظهور أول مقال "حول تعليم الفتاة" ، بقلم امرأة ، أمضت مقالها باسم مستعار هو "الفتاة" . لقد قدم "عبد الكبير الفاسسي" هذه الفتاة عمريا واجتماعيا بأنها "لازالت في عنفوان الشباب لم تبلغ سن العشرين ، وهي من عائلة حسب ونسب ، وعلم وجاه ، ومن أكبر

العائلات ، التي بذت غيرها في العلم والمعرفة ، وأخرجت للمغـرب مـدة قـرون علماء نالوا في علوم زمانهم القدح المعلى، واعترف بفضلهم ملوك وأمـراء ، ولا زالوا يعترفون" . كما قدمها تكوينا ومعرفة بأنها " ... لم تتعلم في مدرسة ، بل كـل ثقافتها مستمدة من دروس تلقتها في بيتها ، عن والدها وأخويـها ، وأبنـاء عمـها وخالها ولا زالت مثابرة على الدرس والمطالعة في الكتب والجرائـد والمجـلات " (32). بينت " أول فتاة كاتبة بالمغرب" ، في مقالها ، أن دواعي كتابة مقـال حـول المرأة ، تكمن فيما رأتها عليه "من الجمود والانحطاط ، داعية بذلك إلـى انجادهـا وانتشالها من ربقة الجهل والأمية ، والتحدي بها إلى الأخلاق الشريفة وبـث الآداب في روحها"(33) ، إن القصد من دعوة هذه الفتاة إلى تعليم المرأة ، كان مـن أجـل انتشالها من وضعها . إلا أنه ورغم تمحسها للأمر ، فهي لم تتجاوز المتداول سـوى باقتراح واحد يتعلق بسن الاستمرار في التدريس ، برفعها له إلى سن الخامسـة أو السادسة عشر ، وهو تمديد لا شك أن الهدف منه هو إتاحة فرصة أطـول للمـرأة حتى توسع مداركها أكثر ، وتتجاوز المرحلة الابتدائية ، دون الوصول إلى شـهادات عليا . فقد اكدت في مقالها أنها ليست " ...ممن يذهب إلى بلوغ الفتـاة الشـهادات العليا ، وإنما أميل إلى التعليم الثانوي الشامل لكل الفنون التي تجعلها قـادرة علـى المطالعة والكتابة والقيام بالأمور المنزلية من معاشرة زوج وتربية أبناء ...ففي هـذا كفاية لها ، وهو الملائم لبيئتها "(34).

هذه إذن إشارات عن تطور فكرة تعليم البنات وتطور الدعـوة إليـها فـي الثلاثينات . أما عن وضع هذا النوع من التعليم ، فيمكن القول فيه أنه منذ أواسـط العشرينات عملت فرنسا على الإكثار من مدارس البنات المسلمات ، كما أن الدعـوة لهذا التعليم بدأت منذ مطلع الثلاثينات تلقى بعض الإقبال ، سـاعد عليـه توضيـح عناصر النخبة المتنورة للفكرة وإظهار حيويتها ، وعدم منافاتها للدين.وهكذا وصـل عدد الفتيات المسلمات بالمدارس سنة 1932 ، حوالي ثلاثة آلاف تلميذة ، وفي سـنة 1938 تم انشاء سلك كامل للتعليم الابتدائي لصالح البنات(35). وفي سنة 1943، كـان عدد الناجحات في الشهادة الابتدائية خمس عشرة تلميـذة ، عشـرة بفـاس وسـتة بالرباط من ضمنهن الأميرة عائشة ، وواحدة في البيضـاء(36). وكـانت مـدارس البنات كما نظمتها سلطات الحماية مقسمة إلى ثلاثة أنواع : مدارس ثقافية تلقن فيـها معلمات فرنسيات اللغة الفرنسية ومبادئ التدبير المـنزلي ، وتلقـن فيـها بعـض الفقيهات دروس عربية ودينية . وكانت هذه المدارس توجه بعض خريجاتـها إلـى التدريب على فن التوليد . ومدارس صناعية تتعلم فيها الفتيات مبادئ اللغة الفرنسـية والتدبير المنزلي إلى جانب إحدى الصناعـات اليدويـة . ومـدارس تجمـع بيـن مواصفات المدارس الثقافية والمدارس الصناعية(37). وضمن حركة "التعليم الحـر" الذي أرادته الحركة الوطنية تعليما مغربيا وطنيا في مقابل التعليم العصـري كمـا أسسته سلطات الحماية حاول بعض الرواد إنشاء أقسام خاصة بالبنات بمدارسـهم

إلا أن العراقيل ، وضعف الإقبال وطبيعة التعليم الذي كان قائما فيها على العربية والدين ، كلها عوامل حالت دون الرقي بذلك التعليم إلى المستوى المطلوب(38) ومن بين العراقيل التي صادفت مدارس وأقسام تعليم البنات بالتعليم الحر ، تدخل بعض المتنفذين المعارضين لتعليم الفتاة وكمثال على ذلك ، ما تعرضت له محاولة أحد رواد التعليم الحر الأوائل ، وهو الفقيه محمد بن عبد الله ، في العشرينات . فقد حاول هذا الوطني إنشاء قسم للبنات بمدرسة "العدوة "التي أنشأها بفاس ، إلا أنه اصطدم بمعارضة الشيخ عبد الحي الكتاني ، الذي استصدر من بعض "علماء الدين" فتوى في حق مدير المدرسة اتهمه بالزندقة والكفر والالحاد والزيغ عن الطريق المستقيم ونددت بالزج بالإناث في المدارس معتبرة إياه من باب الحرام(39).وإمعانا في الصراع ، طلب الشيخ الكتاني ومن معه ، من سلطات الحماية ، إغلاق المدرسة . وقد اضطر الفقيه محمد بن عبد الله أمام هذه المضايقة ومن أجل الحفاظ على استمرار مدرسته ، التراجع عن فكرة إنشاء قسم للبنات بها والتفاوض مع الشيخ الكتاني(40). وعلى العموم فعناصر الحركة الوطنية لم تكن راضية تمام الرضى على نظام وبرنامج تعليم البنات ، كما أسسته إدارة الحماية إلاأنها لم تستطع إنشاء بديل له بمدارسها الحرة.

نقلة نوعية

تشكل سنة 1943، نقطة تحول رئيسية في مسار تطور مسألة تعليم البنات من خلال الاهتمام الذي أولاه إياها القصر بشكل واضح وملموس ، ابتداء من هذه السنة. ففي تصريح بين علماء وطلبة العلم بالقرويين ، أكد السلطان على اهتمامه بالأمر، ورغبته في ترقية الفتاة المغربية المسلمة ، بقوله :"هناك أمر آخر نهتم به كل الاهتمام وهو تعليم بناتنا وتثقيفهن لينشأن على سنن الهدى ويهذبن بما ينبغي حتى يتصفن بما يتعين أن تتصف به المرأة المسلمة حتى تكون على بينة من الواجب عليها لله ولزوجها وبنيها وبيتها"(41). وفي عيد العرش لسنة 1944، أكد السلطان على نفس المسألة ، ونادى بالعمل من أجل إنقاذ الفتاة "من الجهالة والغباوة" ، حتى لا يبقى نصف المجتمع أشل . ومنذ هذا التاريخ لم يترك السلطان مناسبة إلا وحظ فيها على تعليم الفتاة وتهذيبها . ولم يقف عند التصريحات فقط بل وازاها بمبادرات عملية ، تمثلت في تأسيس لجن لإصلاح تعليم البنات ، والدفع بالأمراء والأميرات خصوصا الأميرة عائشة ـــ مبشرين بالأمر وضرورة الرقي به وما شابه ذلك من مبادرات ، ألانت نسبيا جانب المعارضة وشجعت الكثير من الأسر على إلحاق بناتها بالمدرسة ، وفتحت الباب على مصراعيه أمام الأحزاب السياسية ورواد المدارس الحرة بعد الحرب العالمية الثانية ، للمنافسة في هذا الباب.

في سنة تجديد الانطلاق التي أشرنا إليها ـ1943ـ أجرى السلطان استشارات متعددة ، لإدخال إصلاح وتعديل على مدارس البنات ، مع عدد من الشيوخ ومن الشباب المغاربة ، ومع عدد من رجال الدولة الحامية ، وكون لجنة تطلعه على واقع تعليم الفتاة وتقدم مقترحات للرقي بهذا التعليم . واختار لهذه اللجنة جمعيات قدماء التلاميذ في كل من فاس والرباط ومراكش ، حيث وافاه رؤساؤها : محمد الزغاري ، والمهدي بن بركة ، والعربي بن الحسن العلوي ، بتقارير تضمنت المطلوب(42)، تبلور بعدها برنامج هذا التعليم. كما ألقى شيخ الاسلام وزير العدل في شهر أكتوبر من نفس السنة ، محاضرة على أمواج الإذاعة بين فيها أهمية البرنامج وأهمية تعليم الفتاة في الدين والمجتمع ...وكلها مبادرات بدأت تحول قضية تعليم البنات من قضية همت النخبة وحدها أو عناصر منها إلى قضية مجتمعية ، وحديث عام .

لقد أيقظت مبادرة السلطان ، همم المهتمين بالموضوع ، وجعلتهم يدلون برأيهم فيه وبتصوراتهم من أجل الرقي بتعليم البنات . ولتوضيح جزء من النقاش كما طرح في إبانه ، اخترنا رأيين أو طرحين ، أولهما لمحمد بن الحسن الوزاني أدلى به من منفاه في مقال حول تعليم المرأة ، غداة تشكيل السلطان للجنة تعليم الفتاة والثاني ، مضمون التقرير الذي قدمه المهدي بن بركة للسلطان ، باسم جمعية قدماء تلاميذ ثانوية مولاي يوسف بالرباط.

اعتبر الوزاني مسألة المرأة بالمغرب ، هي بالأساس مسألة جهل أو علم وليست مسألة حجاب و سفور ، لأن المتعلمة في نظره لا يضرها الحجاب والسافرة لا يجديها السفور نفعا ، إذا بقيت جاهلة . ومن هذا المنظور انتقد تقديم المجتمع للبنين على البنات في التعليم والتهذيب ، واعتبره من الحماقة والخور وضد المصلحة العامة التي تستدعي الاهتمام بالجنسين معا ، لتكون الأقانيم الثلاثة للعائلة : الأم والأب والاولاد متوازنة وصالحة بالعلم ، ويصلح المجموع بصلاحها كما حمل الرجال مسؤولية هيمنة الجهل على النساء ، وقدم مقارنات بين ايجابيات تعليم المرأة من أجل المستقبل ونهضة البلاد ، وسلبيات حرمانها من التعليم وما يحمله من عرقلة للتطور والرقي . وفي سياق تشريح واقع تعليم البنات كما كان سائدا انتقد بشدة اقتصاره على التعليم الابتدائي والتوقف عند الشهادة الابتدائية وسلبيات هذا التوقف لانه يؤدي حتما إلى اضمحلال المعارف البسيطة التي وقع تلقيها لدى أغلبية المتوقفات ، بسبب الانزواء في البيوت ، وعدم توظيف وصقل ما تعلمنه في المدارس . ولتجاوز هذه النقيصة اقترح الوزاني مقترحين ، فقال في أولهما بإمكانية تأسيس مدارس ثانوية للفتيات لإتمام دراستهن ، والاحتكام إلى عامل الزمان القادر على تذليل الصعوبات والعقبات ، أو الإقدام على تأسيس نظام داخلي تقيم به التلميذات طيلة اليوم ، أو طيلة الأسبوع ، لإنقاص مرات التردد على المدرسة وعملية خروج الفتيات التي يتذرع بها الكثيرون لمنع البنات من إتمام

دراستهن . أما المقترح الثاني ، فسماه الوزاني بالحل الوسط ، وبناه على اقتراح إنشاء دروس تكميلية اسبوعية لحاملات الشهادة الابتدائية ، تعطى أيام العطلة الأسبوعية في نفس أقسام المدارس الابتدائية . وهو طرح معتدل راهن صاحبه على إمكانية نجاحه مقارنة بسابقه لأن خروج الفتيات من أجله إلى المدارس لن يكون إلا مرتين في الأسبوع . وحول المحتوى العام لهذه الدراسة التكميلية الأسبوعية ، ارتأى الوزاني ضرورة تقييدها بالعلوم الضرورية للمرأة مع مراعاة الجانب العلمي دون سواه ، وتوزيع تلك الدراسة بين سنتيين أو ثلاث سنوات تختتم بنيل شهادة في الثقافة العامة المتوسطة ، والكفاءة في مهنة خاصة . أما برنامج هذه الدراسة فاقترح توزيعه بين طورين ، طور أول وهو طور الثقافة العامة وتدبير المنزل وتربية الأطفال ، مدة الدراسة به سنة واحدة أو أكثر ، يشترك فيه جميع الحاصلات على الشهادة الابتدائية ، وطور ثاني فيه نوع من التخصص ، وزعه بين ثلاثة أقسام هي ، قسم التدريس ، مهمته تكوين وإعداد المعلمات ، وقسم القبالة مهمته تخريج قابلات مسلمات ، وقسم الصناعة لتعليم الصنائع المتداولة .

وبالاضافة إلى هذين المقترحين ، اقترح الوزاني اقتراحات تنظيمية عامة لإنجاح التجربة الجديدة والسير فيها على بصيرة وهدى وعلى رأس تلك المقترحات

ـ أن يتولى الملك الإشراف على مدارس البنات من خلال رجال تتوفر فيهم الشروط الازمة وثقة الملك .

ـ تمكين الآباء من الإشراف على سير التعليم بهذه المدارس ، عن طريق تكوين لجنة استشارية منتدبة منهم .

ـ انتقاء المعلم الذي تتوفر فيه الشروط المطلوبة علما وتهذيبا(43).

أما التقرير الذي قدمه المهدي بن بركة إلى السلطان بتاريخ 6 مارس 1943 باسم جمعية قدماء تلاميذ ثانوية مولاي يوسف بالرباط ، فقد ثمن المجهودات التي صرفت لإحداث مدارس تعليم البنات ، إلا أنه انتقد إهمالها العربية والتربية الدينية ورأى حاجتها إلى تحسينات وإصلاحات بشرية ، من حيث البرنامج تكفل الاطمئنان على مستقبل الفتاة المغربية . اقترح التقرير ما بين سن السادسة وسن السابعة لقبول التلميذات بالمدارس ، والتساهل في تحديد السن لانتهاء الدراسة التي اقترح أن تكون ابتدائية فقط ، وأن تستمر ست سنوات ، تلقن خلالها الفتيات برنامج الشهادة الابتدائية الموضوع للتلاميذ الذكور مع تحويرات ضرورية .أما برنامج الدراسة فاقترح أن يتضمن مجموعة من المعارف والصنائع هي علوم العربية من قرآن ومبادئ دينية وتلاوة وإنشاء وتاريخ ، وعلوم فرنسية ، بمعنى استعمال هذه اللغة في تلقين دروس الأشياء والحساب ومبادئ الجغرافية ، والتدبير المنزلي وعلم الصحة وتربية الأطفال . والأشغال اليدوية من نسج وتطريز وخياطة مع مراعاة طبقات السكان واختلاف المدن ، إضافة إلى ضرورة الاعتناء بمبادئ الرياضة البدنية ، ولو بكيفية خفيفة . ولضمان سير هذا البرنامج اقترح التقرير انتقاء

معلمات قديرات ، وإقصاء الفقيهات ، لعدم كفاءتهن ، وتعويضهن بأساتذة أكفاء يكون اختيارهم تحت إشراف الملك ، وتنتهي مهمتهم عند إعداد معلمات للقيام بالمهمة(44).

واستنادا إلى التقارير التي قدمت للسلطان ، والاستشارات التي أجراها مع من يعنيهم الأمر، والمهتمين بقضايا التربية والتعليم ، جاء برنامج سنة 1943 لتعليم البنات مشتملا على ايجابيات جديدة شجعت الفتاة على الالتحاق بالمدرسة والاطمئنان إليها أفضل نسبيا من السابق . ويمكن أن نشير من بين تلك الايجابيات إلى السماح للبنات بالالتحاق بالمدرسة في أي وقت بين سن الخامسة والثالثة عشر ورفع الحجر على الفتيات الراغبات في إتمام دراستهن بعد الحصول على الشهادة الابتدائية ، وما شابه ذلك من ايجابيات اعتبرت نقلة نوعية ، وتمت الدعاية لها بمختلف الأشكال ، من طرف فعاليات متعددة .ولتسهيل نقل هذه الحركة الجديدة إلى حيز الواقع ، أجريت بالقصر الملكي مباراة لاختيار مدرسين بمدارس البنات ، من مختلف مدن المغرب ، بواسطة القضاة ورؤساء المجالس العلمية ، وتم سن مباراة سنوية بالقصر الملكي لاختيار المدرسين كما تم اختيار "عبد الله الجراري " مفتشا عاما لمدارس البنات بالمغرب (45) ، وارتفعت وثيرة تأسيس مدارس البنات بمختلف المدن ارتفاعا ملموسا ، فدشن السلطان بنفسه أواسط أكتوبر من سنة 1945 مدرسة للبنات بقرية الأحباس بالرباط ، وحمل النيابة عنه في تدشينات أخرى بمراكش وفاس ، والبيضاء وطنجة ...إلى بناته الأميرات (46)، خصوصا الأميرة عائشة التي تحولت منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى رمز للحركة النسائية وتحرير المرأة عموما ، ورمز لحظ المرأة على التعليم للرقي بنفسها وأسرتها ومجتمعها .

لقد لعبت مبادرة السلطان دروا مزدوجا ، إذ ألانت ــ من جهة ــ موقف معارضي تعليم البنات ، وخففت من غلوائه ، وشجعت ــ من جهة ثانية ــ مختلف الأسر ، وعموم الناس على التفكير في إلحاق بناتهم بالمدرسة ، من خلال ما قدمه من تشجيع على ذلك ، ومن خلال تقديم بناته الأميرات مثالا للاحتداء ، وحجة لدحض أي تعارض بين الدين وتعليم الفتاة ، ولحاجة العصر والمستقبل لفتاة مغربية متعلمة ، ومنذ سنة 1945 تزايدت حركة تأسيس وتدشين مدارس البنات ، لتعرف تطورا متسارعا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، على يد مختلف أحزاب الحركة الوطنية التي شرعت في تجديد نفسها وطريقة نظالها منذ سنة 1946 . ومن أمثلة المدارس الأولى للبنات التي أنشأت في هذه المرحلة ، بمبادرات خاصة ، يمكن الاشارة إلى "مدرسة الفتاة السلاوية" التي أسست بمبادرة خاصة لبعض تجار القيسارية المتأثرين بمبادرة السلطان ، وهي المدرسة التي أصبحت تحمل اسم "مدرسة الأميرة عائشة" إثر التجديد الذي عرفته ، لما أسند القائمون عليها مهمة الإشراف إلى الحاج أحمد معنينو . فالتطور السريع الذي عرفته هذه المدرسة

واستقطابها في ظرف وجيز لعدد لا بأس به من التلميذات ، يوضح درجة الحماس الذي تجدد لدى عناصر من النخبة ، من أجل تعليم الفتاة ، ويوضح كذلك درجة الاقتناع التي بدأت تسري داخل ساكنة المدن بضرورة هذا التعليم(47). وقد جسدت احتفالات تدشين مدارس البنات مظهرا من مظاهر الهالة والاهتمام الذي أحيط به كظاهرة تجديد . فعلى سبيل المثال أقيم حفل تدشين مدرسة الأميرة عائشة بسلا بمنزل باشا المدينة محمد الصبيحي وحضرته شخصيات مهمة من شخصيات المخزن ، وزعماء الأحزاب الوطنية ،ومنهم محمد بن الحسن الوزاني ، وعلال الفاسي ومندوبو ومراسلو عدة منابر صحفية ، إلى جانب وفود نسائية من مختلف المدن(48). وفي الحفل ألقت الأميرة عائشة خطابا في موضوع تعليم الفتاة ، كما عبر مدير المدرسة في خطاب آخر عن رأيه في الامر ، ورؤيته له ، وألقيت قصائد في الموضوع ، كما تلقت المدرسة ومدينة سلا عموما ، رسائل تهنئة من أسرة التعليم الحر من مختلف المدن المغربية . وعموما لقد كانت حركة التجديد التي عرفها تعليم البنات إبان وبعد الحرب العامية الثانية ، بداية نهضة وطنية وارهاص نهضة نسائية ، ظهرت ملامحها الأولى مع تأسيس الجمعيات النسائية ومساهمة تلك الجمعيات بطرح آراء حول التربية والتعليم عموما ، والجانب الخاص منه بالنساء على الخصوص ، وتشجيع عناصرها للفتاة على التعلم واهتمامها بالشأن التربوي والتعليمي بما في ذلك التطرق للمناهج والبرامج والاهتمام بمحاربة الأمية في أوساط النساء، مثل ما كانت تقوم به "جمعية النساء المغربيات" ، و " جمعية أخوات الصفا المنضويتين تحت لواء حزب الشورى والاستقلال، والمنظمات النسائية التي كانت تابعة لحزب الاستقلال وهو ما يحتاج في الحقيقة إلى عرض قائم الذات ، يوضح دور التعليم في بدايات الحركة النسوية بالمغرب ، وفي اقتحام المرأة للمجتمع بايجابياته وسلبياته ومساهمته في تنبيهها إلى عدد من حقوقها الأخرى ...

خاتمة

كانت بداية حركة المطالبة بتعليم النساء ، استجابة لروح العصر من طرف بعض المصلحين من عناصر النخبة المغربية ، كما كانت في عدد من جوانبها تقليدا للغرب ، وتقليدا للحركة النسائية كما عرفها الشرق العربي . وكانت بداية هذه الحركة مشوبة بالقلق والمغامرة ، من طرف المصلحين الأوائل الذين "تجاسروا " على الجهر برأيهم وسط مجتمع كانت شروطه أبعد ما يكون عن الاستجابة لتلك الآراء ، ومن طرف الأسر الأولى ، التي بعثت ببناتها للمدارس . ويبدو أن اثر آراء بعض مصلحي الشرق مثل احمد أمين الذي دعا إلى تعليم المرأة من أجل القيام بالدور المعد لها في المجتمع للعناية بالأسرة والمساهمة في الخدمات الاجتماعية ونشر السعادة في المجتمع . ورأي الشيخ رشيد رضا الذي طالب للفتاة

بتربية وتعليم مستمدين من روح الشرع ، كانت مهيمنة بشكل كبير في خطاب النخبة المغربية المناصرة لتعليم الفتاة ، ومن هنا ركز ذلك الخطاب على دور المرأة المتعلمة كواسطة لنقل المعرفة إلى الأولاد ، ولإسعاد البيت ، واختصار الطريق لنهضة المجتمع ، وهو موقف رغم ما يبدو عليه من تحفظ الآن ، فقد كان في وقته نقلة نوعية وركنا أساسيا في بداية تغيير نظرة الرجل للمراة . وقد حدد المصلحون الأوائل السن والمواد والمستوى المسموح به للمرأة في التعليم تحديدا عكس رؤيتهم لدورها في المجتمع ، وانفاقهم على أن مكانها الطبيعي هو البيت . لكن عامل الزمن والتطور تجاوز بالتدريج هذا الوقف الميال إلى التحفظ ، وعلى ذكر هذا التحفظ لا بد من الإشارة مرة أخرى إلى نظرة الخوف ونظرة الحذر التي سادت المجتمع إزاء تعليم الفتاة ، تلك النظرة التي تفسر إلى جانب عوامل أخرى محدودية اجتهادات النخبة ، وعدم تجاوزها نفس الطروحات من بداية العشرينات إلى أواسط الأربعينات . وعموما كان التعليم خطوة أساسية في بداية اليقظة النسائية ومدخلا لتحرك المرأة اجتماعيا عبر الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية والتربوية .

إحالات وهوامش

1) – حول هذا النوع من التعليم ، وحول بعض دور هذا التعليم في فتراته المتأخرة بالرباط انظر : الجراري عبد الله : من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا ، ج الأول ، الطبعة الأولى ، الرباط ـ مطبعة الأمنية 1971 ص ص 64ـ66.

2) ـ عرف الكتاب في المغرب وهو المكان الذي يتعلم فيه الصغار القراءة والكتابة ويحفظون القرآن،باسماء مختلفة باختلاف الجهات والأماكن ، ومن تلك الأسماء : المسيد ، وهي تحريف لكلمة المسجد ، والجامع ، ولحضار...

3) ـ انظر بوطالب عبد الهادي : ذكريات وشهادات ووجوه ، ج الأول ، جدة ـ الشركة السعودية للأبحاث والنشر ، 1992 ص 84 . وكذلك : القادري أبو بكر : قصة النهضة ، سجل كفاح الحركة الوطنية المغربية من أجل مدرسة وطنية عربية اسلامية.الدارالبيضاء ، مطبوعة النجاح الجديدة 1984 ، ص 89-90.

4) ـ انظر جردا لبعض دور الفقيهات ، والمشرفات عليها في الفترات المتاخرة بالرباط ، بكتاب : الجراري عبد الله ، م . س. ص 63.

5) ـ ديمس جون جيمس : حركة المدارس الحرة بالمغرب 1919-1970.ترجمة السعيد المعتصم الدارالبيضاء ، تانسيفت 1991 ص 20.

6) ـ الوزاني محمد حسن : مذكرات حياة وجهاد ، ج الأول ، طور المخاض والنشوء، بيروت ـ مؤسسة محمد حسن الوزاني ، 1982 ، ص 287.

7) ـ الحجوي محمد بن الحسن : تعليم البنات ، مجلة المغرب السنة 4 ـ عدد غشت شتنبر 1935 ، ص ص 2-8.

8) ـ القادري أبو بكر : مدرسة النهضة ، م . س. ص 90.

9) ــ انظر الوزاني : م .س . ص 288–289.
10) ــ القادري : م .س . ص 90.
11) ــ الوزاني : م .س . ص 289.
12) ــ المرجع نفسه ص 291 .
13) ــ نفسه : ص 285–286.
14) ــ نفسه : ص 284–286.
15) ــ مجلة المغرب ، السنة 4 ــ عدد غشت شتنبر 1935 ص 2 .
16) ــ انظر الحجوي محمد : الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي ــ ج 4 ، فاس ــ المطبعة الجديدة ــ د ت ص 202–203.
17) ــ في سياق اهتمام إدارة الحماية بنشر الثقافة ، نظمت منذ بداية العشرينات مسامرات بمعهد الدروس العليا بالرباط ، كانت تلقى فيها محاضرات باللغتين الفرنسية والعربية بحضور كبار رجال الحماية وكبار رجال المخزن والقضاة والعلماء والأعيان . وقد تم افتتاح هذه المسامرات رسميا من طرف المقيم العام ليوطي في حفل كبير .
18) ــ الحجوي محمد بن الحسن : تعليم الفتيات لا سفور المرأة .
ضمن كتاب : العلوي سعيد بنسعيد : الاجتهاد والتحديث ، دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب سلسلة الفكر الاسلامي المعاصر 3 ــ مالطا ــ مركز دراسات العالم الاسلامي 1992 ص ص 206–237.
19) ــ حول هذا الحدث : انظر : الجراري عبد الله :م . س . ص 68 .
20) ــ انظر : تعليم الفتيات لا سفور المرأة ...م . س .
21) ــ المصدر نفسه .
22) ــ المصدر نفسه .
23) ــ حول موقف كبار الأعيان كما تمت الإشارة إليه ، انظر كلمة السيد بونصو في حفل تدشين مدرسة للبنات ، مجلة المغرب ، عدد نونبر 1935 ، ص ص 11–13 .
24) ــ انظر : بوطالب عبد الهادي : ذكريات وشهادات ووجوه ، ج 1 ، م س ص 82.
25) ــ انظر : تدشين مدرسة للبنات ــ مجلة المغرب ــ عدد نونبر 1935 ص ص 11–13.
26) ــ انظر خطاب السيدة بونصو في المرجع نفسه .
27) ــ نفسه .
28) ــ مجلة المغرب ــ السنة الرابعة ــ عدد غشت شتنبر 1935 ، مقدمة العدد .
29) ــ من الوسائط التي استعملت في العالم العربي في الدعاية لتعليم المرأة ، كتابة كتب ومقالات حول شعيرات النساء العربيات ، ومن أمثلة ذلك :
ــ زينب بنت على فواز العاملي ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور .
ــ قدرية حسين : شهيرات النساء في العالم الاسلامي .
ــ حسن حسني عبد الوهاب ، شهيرات التونسيات .
30) ــ بوطالب عبد الهادي : ذكريات وشهادات ووجوه . ج 1 . م . س . ص .120.
31) ــ انظر : مطالب الشعب المغربي ، القاهرة ــ مطبعة الاخوان المسلمين ، 1934 ص . 45.
32)ــ الفاسي عبد الكبير : أول فتاة كاتبة بالمغرب ــمجلة المغرب ــ السنة الثالثة مارس 1935 ص 1 .
33) ــ الفتاة : حول تعليم الفتاة ، مجلة المغرب ، السنة 3 مارس 1935 ص 2–3 .
34) ــ المقال نفسه .

35) ــ المروني المكي : الاصلاح التعليمي بالمغرب ، ص 20.
36) ــ الوزاني محمد حسن : المرأة المسلمة ضمن كتاب الاسلام والمجتمع والمدنية ، بـيروت ، مؤسسة محمد حسن الوزاني ، 1987 ، ص ص 195-222.
37) ــ من تقرير رئيس رفعه جمعية قدماء تلاميذ ثانوية مولاي يوسف بالرباط إلى الملك سـنة 1943 حول حالة تعليم البنات بالمغرب
انظر نص التقرير بكتاب : الجراري عبد الله : من أعلام الفكر المعـاصر ج 1 . م . س . ص ص .70-74.
38) ــ اول مدرسة حرة لتعليم البنات هي " المدرسة الخيرية الاسلامية للبنات" بتطوان ، والتـي كان يشرف عليها محمد بن علي الخطيب .
39) ــ انظر بوطالب عبد الهادي : ذكريات وشهادات ووجوه ، ج 1 م. س . ص 218-219.
40) ــ المرجع نفسه ص 219.
41) ــ انظر الوزاني محمد حسن : المراة المسلمة م. س .
42) ــ الجراري عبد الهادي : من اعلام الفكر المعاصر ن ج 1 م . س . ص .69.
43) ــ انظر تفاصيل هذا المختصر ، الوزاني محمد حسن المرأة السملمة م . س .
44)ــ انظر التفاصيل بنص التقرير المنشور بكتاب عبد الله الجراري ، م س ص ص 70-74.
45) ــ انظر الجراير عبد الله : من اعلام الفكر المعاصر ، ج 1 م . س . ص 75 .
46) ــ نفس المرجع والصفحة
47) ــ للاطلاع على تاريخ "مدرسة الأميرة عائشة " ، بسلا ، مفصلا ، انظر : معنينـو الحـاج احمد : ذكريات ومذكرات ، ج4 1947 ــ1951 طنجة ــمطبعة سبارطيلــ1991 ص ص 38-68.
48) ــ انظر نفس المرجع ، ص 33-34.

